دير سانت كاترين

أكثر الرموز قدسية فى سيناء جبلها (طور سينين) الذى جاء ذكره فى القرآن وعلى إحدى قمتى هذا الجبل كلم الله موسى مرتين ، وعلى القمة الأخرى هبطت الملائكة برفق بالغ وهى تحمل جسد القديسة كاترين عذراء الإسكندرية التى فصل الإمبراطور رأسها لأنها استطاعت أن تفحم ٥٠ من حكمائه وتقنعهم باعتناق المسيحية ، وقد أطلق اسم القديسة كاترين فى القرون الوسطى على الدير الشهير بسيناء ، وتذكر الروايات التاريخية أن رهبان الدير كانوا يذكرون لزائرهم أن القديسة هيلانة قد شيدت الكنيسة الأولى من أجل ذكرى الشهيدة كاترين التى عذبت وماتت فى الإسكندرية عام ٧٠٣م .

ويقع الدير فى سفح قمة من قمم جبل طور سيناء على أحد فروع وادى الشيخ ، ويرتفع عن سطح البحر ٥٠١٢ قدما . وتروى الأساطير أن الدير يقف فى ذات المكان الذى آنس عنده موسى نارا فأراد أن يأتى منها بقبس ، وفوق قمة الجبل المطل عليه تلقى الوصايا العشر فى لوحين من الحجر الصلد ، وعلى منحدر الصفصافة القريب ألقى بالألواح غضبا . وعلى هذا التل صنع السامرى لبنى إسرائيل عجلا من ذهب عبدوه فأضلهم عن ذكر الله . وكانت بداية قصة العذراء كاترين يوم وصل القديس مرقص إلى الإسكندرية قادما من ليبيا ليبنى بها كنيسة المسيح عام ٦٣ ميلادية ، وينشر الدين الجديد مما أثار جزع الرومان الوثنيين ، فصبوا عليه وعلى أتباعه جام غضبهم ، وتصاعد العذاب الذى يتعرض له المسيحيون حتى بلغ الذروة فى عهد الأباطرة (ديفيوس) ٢٤٩ – ٢٥١م ، (دقلديانوس) ٢٨٤ – ٣٠٥ م ثم (ماكسيمينوس) ٣٠٥ – ٣١٣ م الذى قتل زهاء المائة ألف من المسيحيين كانت من بينهم العذراء الجميلة كاترين ابنة الشريف السكندرى (كوستوس) والسيدة الثرية (سابينلا) .

وتنتقل الأقصوصة من الجد إلى الحفيد عبر القرون الطويلة لتحكى دراما هذه العذراء الفاتنة التى تعرضت لأشد أنواع العذاب بسبب نقدها للإمبراطور واعتراضها على أسلوب حياته البهيمى . ولما كان ماكسيمينوس يشعر فى قرارة نفسه أنه غير صنو لهذه الفتاة الذكية فقد جمع لها خمسين شيخا من الحكماء اختبروها فى مختلف نواحى الفكر والثقافة فأفحمتهم بعلمها الغزير وذكائها المفرط وأدبها الجم ، فتحولوا إلى المسيحية جميعا مما أثار غضب الإمبراطور ، فأمر بأن يحرقوا أحياء ولم يفقد ماكسيمينوس

الأمل فأرسل الإمبراطورة تزورها فى سجنها فآمنت بالقديسة فم القائد (بورفيريون) فكان حظه كمن سبقه ، فأمر الإمبراطور بقتل ثلاثتهم ، وفى ٢٥ نوفمبر ٣٠٧ م أمر ماكسيمينوس بفصل رأسها عن جسدها بالسيف ، فكان يوم استشهاد القديسة ودفع بجسدها تحت تروس آلة جهنمية ذات شفرات حادة لتمزيق أوصالها وطحن لحمها وعظامها ! وقبل دورات التروس انتزعتها يد خفية ودفعت بقتلتها مكانها ! .

وتنتشر بركة القديسة كاترين شرقا وغربا وتصل أسماع دوقات نورماندى اللائى يخصصنها بالتوقير والتقديس ويغدقن الأموال على رهبان كنيستها فى سيناء ، ولم يكن الدير أول مبنى مسيحى فى سيناء كما أن رهبانه لم يكونوا أول الرهبان ؛ فقد بدأت سيناء تمتلئ بالنساك والرهبان المسيحيين مع بداية القرن الثانى الميلادى كنتيجة للاضطهادات التى تعرضوا لها فى مصر وسوريا . وقبل إنشاء الدير نزل النساك والرهبان جبل موسى ووادى فيران ووادى الحمام شمال مدينة الطور ، وتذكر المراجع التاريخية أن هذه الأماكن كانت غاصة بالرهبان والنساك فى أوائل القرن الرابع المسيحى . وفى حوالى عام ٤٠٠ ذهب راهب يدعى تيلوس إلى سيناء وأقام فيها وقتا طويلا مع غيره من الرهبان فى « قلايات » عند جبل موسى حول كنيسة كانت هناك ، وترك لنا فى كتاباته إشارات إلى الأماكن المختلفة التى كان يعيش فيها الرهبان المسيحيون وما كان يقع عليهم من اعتداءات . ومن بين تلك الأماكن وادى غرندل والطور ووادى الطلح حيث نجد حتى الآن بقايا دير قديم كان باسم القديسين كوسمان ، ودميان ووادى السجيلة حيث توجد بقايا دير قديم آخر . وكلا الواديين على مقربة من دير سانت كاترين أو جبل موسى ، كما ذكر فيران التى كان لها شأن كبير فى القرن الخامس وكانت مركزا لتجمع الرهبان وكان فيها أساقفة منذ القرن الرابع حتى القرن السابع الميلادى ، وفى البداية ، لم يلق هؤلاء الفارون الكثير من المتاعب . فقد كانت مملكة النبط (الذين حلوا محل الأدوميين وأسسوا مملكة فى البتراء امتدت من دمشق شمالا إلى وادى القرى قرب المدينة المنورة جنوبا ومن بادية الشام شرقا إلى خليج السويس غربا — ١٦٩ ق .م - ١٠٦ م) التى دانت بالمسيحية تبسط سلطانها فوق سيناء وكانت أبرشية فيران التى سكنها رهبان من البتراء تابعة لأبرشية البتراء قبل بناء الدير . وبعد نهاية مملكة النبط أصبح أهل البادية من نهر الأردن إلى البحر الأحمر ولا وازع لهم ويعيشون على الغزو والنهب وكثيرا ما غزوا رهبان سيناء ونكلوا بهم .

وعندما قامت الإمبراطورة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الكبير عام ٣٤٢ م بزيارة رهبان المنطقة بعد زيارتها لفلسطين عرفت منهم ما كانوا يعانون من ضيق بسبب هجوم البدو عليهم ، أثر فى نفسها كثيرا زيارتها للشجرة المقدسة عند سفح جبل موسى ، وأمرت ببناء كنيسة فى المكان باسم العذراء مريم كما أمرت ببناء مكان حصين يحتمى داخله الرهبان عند الهجوم عليهم . ومن المحتمل أنه فى عصر الإمبراطورة هيلانة أى فى القرن السادس الميلادى قد بنيت كنيسة فى ذلك المكان وتم بناء برجين

مكان الدير الحالى بالقرب من كنيسة العليقة التقليدية التى كلم الله عندها موسى ، ولعل هذه القديسة أيضا هى التى بنت هذه الكنيسة التى مازالت باقية داخل سور الدير إلى الآن .

ولم يوقف بناء البرجين اضطهاد البدو وبقى رهبان سيناء يقاسون حتى عهد الإمبراطور جستنيان الرومانى ٥٢٧ ٥٦٦م . فأرسلوا إليه وفدا يسأله بناء حصن يقيهم هجمات البدو نتيجة لما سمعوه عنه وعن غيرته على الدير ، فاستجاب الإمبراطور لطلب الرهبان فأرسل مهندسا وبنائين لبناء الدير ونعرف مما ذكره (أوتيخيوس) بطريرك الإسكندرية فى القرن التاسع الميلادى أن جستنيان أمر ببناء كنيسة وحصن ليحمى كنيسة العذراء التى بنتها القديسة هيلانة على مقربة من الشجرة المقدسة (العليقة) والبناء الحالى للدير أشبه بحصن من حصون القرون الوسطى ، فالسور الخارجى سور حصين فى حقيقة الأمر فحجارة أجزائه السفلى من الجرانيت ، وترجع إلى أيام الحصن الأولى الذى أمر جستنيان بتشييده ليحتمى الرهبان فى داخله ، ولهذا أقيم على نمط الحصون الحربية . وفوق باب الدير لوحة رخامية تقول سطورها السبعة : «أنشأ هذا الدير المقدس فى جبل سيناء - حيث كلم الله نبيه موسى - الملك البيزنطى العادل جستنيان ، ليكون له ولزوجه الإمبراطورة تيودورا ذكرى سرمدية تبقى آية الدهر ، وقد تم البناء فى السنة الثلاثين من حكمه المديد وأقام عليه (دولامس) قبما سنة ٦٠٢١ من تاريخ آدم أبو البشر عليه السلام الموافق سنة (٥٢ بعد مولد المسيح) وللدير سور ضخم طوله ٨٥ مترا وعرضه ٧٥ مترا ومتوسط ارتفاعه ١١ مترا وسمك الحائط حوالى ٢,٢٥ من المتر وقد بنيت داخل السور عدة كنائس صغيرة للعبادة . وقد حدثت فيه ترميمات كثيرة على مدى العصور وعلى الأخص فى السور الشرقى المعرض للسيول ، وعندما مر نابليون بونابرت بالدير وهو فى طريقه لغزو الشام أمر الجنرال كليبر بترميم أسواره الشرقية التى آلت للسقوط . وكان الباب الأصلى للدير فى سوره الشمالى ولكنه أقفل بالحجارة زيادة فى الحرص وفتح للرهبان عوضا عنه بابا صغيرا إلى يساره سنة ١٨٨٠ ولا يزيد ارتفاع الباب الجديد على مترين ويبلغ عرضه مترا واحدا وفى السور الشرقى مصعد يدوى كان يستخدم فيما مضى لرفع الناس والزاد دون حاجة إلى فتح الباب .

ويتكون المصعد من حبل متين وصندوق خشبى ، وعجلة دوارة يلفها الرهبان فيلتف حولها الحبل ويرتفع الصندوق بمن فيه .

١ - الكنيسة الكبرى :

وهى أقدم الآثار المسيحية فى صحراء سيناء وتسمى فى بعض المؤلفات بالكاتدرائية ، وهى إحدى كنائس العالم الهامة لا بسبب تحفها وإنما لما حوته جدرانها من فسيفساء قديمة . كما أنها إحدى الكنائس القليلة التى يعرف تماما أن بناءها الحالى يرجع إلى عهد جستنيان . ويثبت هذا بالأدلة الأثرية التى تعتمد على طراز الأعمدة والفسيفساء والنقوش اليونانية المدونة . وفى عام ٥٥٧ م عندما

أعاد الإمبراطور جستنيان بناء كنيسة هيلين التى كانت قد تهدمت وأطلق عليها اسم كنيسةالقيامة وعندما عثر الرهبان على رفات كاترين فوق قمة الجبل أطلقوا اسمها على كنيستهم ثم اتسع مدلولها حتى شمل الدير كله .

والكنيسة شمال شرق الدير ، وهى مبنية بالحجر الجرانيتى طولها ٣٨,٤٠ من المتر وعرضها ١٩,٢٠ من المتر ومتوسط الارتفاع خمسة أمتار وبابها الكبير يفتح للغرب ، والكنيسة مبلطة بالرخام ومردانة بالأيقونات القديمة التى تغطى الحوائط وأقدمها أيقونة مريم العذراء وهى أثمن ما بالدير ؛ إذ تم صنعها فى القرن السادس ، وأيقونة موسى وهو يتلقى الوصايا العشر من الرب على قمة الجبل وأيقونة القديسة كاترين .

وفى عهد المطران كاليستراتس ١٨٧٠ م بنى للكنيسة قبة علق فيها عارضة من خشب استخدمت كناقوس قبل استعمال الحديد وعارضة من حديد استخدمت كناقوس قبل استعمال الأجراس و ١٥ جرسا نحاسيا ، وتجرى صلاة الرهبان اليومية والعمومية فى هذه الكنيسة وبنهاية الهيكل ثلاث كنائس صغيرة ، واحدة للشجرة المقدسة ، والثانية للقديس جيمس الصغير ، والثالثة ليوحنا المعمدان ، والأرض من الرخام المتعدد الألوان .

ويفصل الهيكل عن المذبح حاجز من الخشب مغطى بصفائح الذهب مكتوب على بابه باليونانية (تم صنع هذا الحاجز المقدس بجزيرة كريت فى أغسطس سنة ١٦١٢ فى عهد أورثيوس البطريق وقد صنعه مكسيموس الراهب . والمذبح قدس الأقداس خلف الحاجز وتعلوه قبة تتسيقساء النادرة المصنوعة من قطع صغيرة متعددة الألوان يسودها اللونان الأحمر والأزرق على خلفيه من الذهب المعتم بها رسم السيد المسيح صاعدا إلى السماء ومن حوله اليسع يشير إليه والقديس ساجد بين قدميه وموسى واقف على رأسه وبطرس راقد أمامه وجيمس راكع بين يديه . ويعود عهد اللوحة الجميلة إلى وقت بناء الدير فى القرن السادس الميلادى وتحاكى فى صنعتها موزاييك رافينا الإيطالية وسالونيك اليونانية الشهيرة . ويلتف حول المسيح ثلاثون رسما من الموزاييك الدقيق تمثل الحوار بين القديسين والأنبياء . وفى أحد الأطراف كتابة تقول (باسم الأب والابن والروح القدس تم هذا العمل الخلاص من أسهم فى إقامته بهدايا هم فى عهد القس لوخينوس) . وإلى يمين هذه الكتابة ترى موسى أمام الشجرة المباركة وإلى يساره نراه يحمل الوصايا العشر وأسفلها نرى الملائكة فاردين أجنحتهم وحوستيان وتيودور يقفان جنبا إلى جنب وجوار باب المذبح يرى الزائر تابوتين كبيرين : تابوت مهم مرصع بالأحجار الكريمة أهداه بطرس الأكبر وروحه صوفيه ألكسيفنا للدير سنة ١٦٨٨ ومكتوب عليه (لقد تمنى إن عدنا أن رفات القديسة كاترين لا تجد وعاء فضيا يحفظها) أما التابوت الآخر فله قصة . فقد كانت الإمبراطورة الروسية آنا أيفانوفا تأمل أن ترقد رفاتها الأخيرة إلى جوار القديسة كاترين ، فأحدث لنفسها تابوتا من الفضة نقشت على غطائه صورة نادرة للقديسة كاترين . وأوصت

بأن تدفن إلى جوارها عندما تسلم الروح وأن يرسل التابوت إلى الدير ليوضع بجوار قديستها الحبيبة ، ولكن رغبتها الأخيرة لم تتحقق إلا سنة ١٨٦٠ عندما أرسل القيصر إسكندر الثانى هذا التابوت إلى الدير على حين ظلت رفات آنا أيفا نوفا فى كنيسة بطرس وبولس بسان بطرسبرج .

فى مواجهة المذبح وتحت السقف المرمرى حوض من الرخام به رفات كاتربن ، وإلى جوار الحوض الرخامى صندوقان من الذهب أحدهما لحفظ جمجمة القديسة والآخر لحفظ يدها المرصعة بالخواتم والأساور . وخلف المذبح مباشرة كنيسة الشجرة المقدسة حيث تقول الأساطير إن موسى شاهد عندها نارًا أراد أن يأتى قومه منها بقبس أو يجد على النار هدى فخاطبه الله وأمره بأن يخلع نعليه إنه بالوادى المقدس طوى .

ولا تزيد مساحة هذه الكنيسة الصغيرة على ستة أمتار مربعة . وفى أحد حوائطها نافذة صغيرة لا تدخل أشعة الشمس منها إلا مرة واحدة يوم ٢٣ مارس من كل عام . وأمام الكنيسة الكبرى على مسافة عشرة أمتار مسجد صغير بنى باللبن والحجر الجرانيتى أيام الفاطميين فى عهد الخليفة المسمى الآمر (عام ٥٠٠ هجرية ١١٠٦ م) والمسجد مكون من حجرة واحدة مساحتها حوالى ٧×١٠ م ويحمل سقفه عمودان مئذنته بسيطة مربعة الشكل طرفها مدبب ترتفع نحو عشرة أمتار وبالمسجد قطعتان أثريتان هامتان ، إحداهما كرسى يوضع عليه المصحف الشريف والأخرى المنبر الذى يعتبر من الآثار الباقية من هذا العصر . ومحفور على المنبر (لا إله إلا الله لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير نصر الله الإمام أبا على المنصور الآمر بأحكام الله خليفة المسلمين وأيده بنصر من عنده وغفر لوالده . أمر بإقامة هذا المنبر سيف الإسلام وحامى حمى المسلمين أبو القاسم الأفضل شاهنشاه ، وتمت إقامته فى غرة ربيع الأول عام ٥٠٠ من هجرة سيد الأنام محمد رسول الله ﷺ) .

والمسجد مفتوح للصلاة وتعطى أرضيته سجادة حديثة وجميلة ويؤم المسجد كل من يريد من المسلمين الذين يزورون الدير ورجال قبيلة الجباليا الذين أرسلهم حسنيان لحراسة الدير ومساعدة رهبانه وزراعة حدائقه ومازالوا يقومون بنفس الواجب بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامى

مكتبة الدير :

وتقع فى الدور الثالث من بناء قديم حوى الكنيسة الكبرى مكونة من ثلاث غرف فى صف واحد ، وكانت الحجرة الوسطى من قبل مجلسا للرهبان ، وهذه المكتبة من أسباب شهرة الدير لثرائها بالمخطوطات والكتب النادرة . وبرغم أن هذه المكتبة قد حظيت منذ زمن طويل باهتمام العلماء فإنه لم يتم إحصاء كامل للكتب والمخطوطات بها إلا فى السنوات الأخيرة . وتقول أرقام الإحصاء الأخير إن المكتبة تضم ٢٣١٩ من المخطوطات اليونانية (الهيلينية) و٢٨٤ من المخطوطات اللاتينية و ٨٦ من

المخطوطات الحورحانية و ٦٠٠ من المخطوطات العربية وبعض المخطوطات السوريانية والقبطية والإثيوبية والسلافية والأمهرية والأرمية والإنجليزية والفرنسية والبولندية . وتبلغ المخطوطات تقريبا نحو ٦,٠٠٠ مجلد ليست كلها كتب دينية ومن بينها مخطوطات تاريخية وجغرافية وفلسطينية . وبالرغم من أن الدير تأسس فى القرن السادس فإن بعض مخطوطاته يرجع إلى القرن الرابع الميلادى وأكثر مخطوطات هذه المكتبة شهرة كتاب سيناء والمقدس (كودكس سينا) الذى كتبه أسبيوس أسقف قيصرية سنة ٣٣١ م تنفيذا لأمر الإمبراطور قسطنطين ثم أهداه جستنيان إلى الدير سنة ٥٦٠ م حيث ظل به حتى أهدى السائح الألمانى تشيندروف بعضه إلى فريدريك أغسطس ملك سكسونى الذى أهداه بدوره إلى مكتبة جامعة ليبزج . كما أهدى تشيندروف إلى قيصر روسيا بعضها الآخر يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٣ . فأمر بعمل نسخة منها أعادها للدير . وقد ظل هذا الكتاب المقدس النادر فى موسكو حتى باعته الحكومة الروسية عام ١٩٣٣ للمتحف البريطانى مقابل ١٠٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى . وبالمكتبة أيضا كتاب الأنبياء الشهير الذى يعود زمنه إلى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث ٧١٦ م ومعاهدة البابا ويحور الثانى وهو لا يقل فى قيمته كثيرا عن كتاب سيناء وتحمل كل ورقة من أوراقه الأربعمائة عمودين من الكتابة بماء الذهب تلفها صورة ملونة للمسيح ولبعض القديسين .

ويخيل إلى الناظر إليها كأنها رسمت بالأمس فقط لجدتها وطلاوتها . وهناك أيضا فى المكتبة عدد كبير من الفرمانات التى أعطاها الخلفاء والولاة رهبان الدير . وقد ظلت المكتبة تحتفظ بعهد أمان الرسول محمد ﷺ إلى رهبان الدير إلى أن غزا مصر السلطان سليم الأول العثمانى فنقله إلى الآستانة فى نهاية عام ١٥١٧ م وعوض الرهبان بصورة خطية طبق الأصل من هذا العهد النبوى الكريم . وتقول روايات رهبان الدير إن النبى محمدا كتب لهم هذا العهد فى السنة الثانية للهجرة أمانها لهم وللنصارى كافة على أرواحهم وأموالهم وبيعهم . ونص العهد :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون « نسخة سجل العهد » كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ إلى النصارى كافة هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين بشيرا ونذيرا ومؤتمنا على وديعة الله فى خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » كتبه لأهل ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجميها معروفها ومجهولها كتابا جعله لهم عهدا فى نكث العهد الذى فيه وخالفه إلى غيره وتعدى ما أمره كان لعهد الله ناكثا ولميثاقه ناقضا ولدينه مستهزئا وللعنته مستوجبا سلطانا كان أم غيره من المسلمين المؤمنين . وإن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردنة أو بيعة فأنا أكون من ورائهم دانا عنهم من كل عدة لهم بنفسى وأعوانى وأهل ملتى وأتباعى لأنهم رعيتى وأهل ذمتى . وأنا أعزل عنهم الأذى فى المؤن التى يحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت به نفوسهم وليس عليهم جبر ولا إكراه على شىء من ذلك ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حديث

من صومعته ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم فى بناء مسجد ، ولا فى منازل المسلمين ، فمن فعل شيئا من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله . ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر أو بحر فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهم فى ذمتى وميثاق وأمانى من كل مكروه ، وكذلك من ينفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعونه لاخراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم أفواههم . ويعاونون عند إدراك الغلة بإطلاق قدح واحد من كل إردب برسم أفواهم ولايلزمون بخروج فى حرب ولا قيام بجزية ولا من أصحاب الخراج وذوى الأموال العقارات والتجارات مما أكثر من اثنتى عشر درهما بالجمجمة فى كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططا . ولا يجادلون الا بالتى هى أحسن وحيثما حلوا ، وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليهم برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها ، ومن خالف عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله . ويعانون على مرمة بيعهم وصوامعهم ويكون ذلك معونة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد . ولا يُلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذبون عنهم ولا يخالف هذا العهد أبدا إلى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا وشهر بهذا العهد – الذى كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ لجميع النصارى والوفاء بجميع ما شرط لهم عليه من أثبت اسمه وشهادته آخره- على بن أبى طالب – أبو بكر ابن أبى قحافة - عمر بن الخطاب - عثمان بن عفان أبو الدرداء (أبو هريرة) عبد الله بن مسعود - العباس بن عبد المطلب – القضل بن عباس – الزبير بن العوام - طلحة بن عبد الله -- سعد ابن مغار سعد بن عبادة ثابت بن نفيس زيد بن ثابت أبو حزيقة بن عتبة – هاشم بن عتبة معظم بن قرش – حارث بن ثابت - عبد الله بن عمرو بن العاص - عمار بن ياسر (وكتب على بن أبى طالب هذا العهد بخطه فى مسجد النبى ﷺ بتاريخ الثالث من محرم ثانية سنى الهجرة وأودعت نسخته خزانة السلطان وختم بخاتم النبى وهو مكتوب فى جلد قديم طايفى فطوبى لمن عمل به وبشروطه ثم طوبى وهو عند الله من الراجين عفو ربه والسلام .

باقى أبنية الدير :

بداخل الدير معصرة للزيتون ، ومعمل للخمر ومخازن للغلال ومخازن للمئونة وطاحونتان وفرنان ومطبخ ومنزل للمطران والضيوف ومنازل للرهبان وغرفة للطعام .

٥ – آبار الدير :

بداخل الدير ست آبار وأربعة ينابيع .

بئر موسى : وهى بئر قديمة قيل إنها البئر التى سقى منها موسى النبى عم بنات يثرون .

بئر العليقة : بجانب العليقة والطاحونتين .

بئر اسطفانوس : ماؤه عذب وهى التى يشرب منها الرهبان حفرها أسطفانوس مهندس الدير .

بئر مكاريوس : وهى بالحديقة عمقها نحو ٥ أقدام ماؤها بارد صيفا .

بئر اللوزة : بجوار شجرة لوز قديمة العهد .

والبئر السادسة مهجورة .

أما الينابيع الأربعة :

فثلاثة منها أسفل الحديقة والرابع يدعى بركة الدوار وهو نبع غزير يجرى ماؤه فى قناة تحت الأرض ليروى الجهة الشرقية من الحديقة .

٦ – حديقة الدير :

بها أشجار فاكهة (تين – عنب – خوخ – تفاح – مشمش – جوز – سفرجل – كمثرى – برتقال – لوز – توت وأشجار زيتون وخروب ونخلة واحدة وأشجار خشب سرو – صفصاف – حور بالإضافة إلى الخضروات والبقول والأزهار .

٧ – معرض الجماجم بالدير :

اعتاد الرهبان ترك جثث موتاهم تبلى فى المدافن ، ثم يأخذون عظامها ويضعونها فى معرض خاص قرب المدفن يسمى كنيسة الموتى ، وللمعرض قبو متسع تعلوه كنيسة وفيه رصت الجماجم بعضها فوق بعض ، أما العظام فرصت فى الجهة الأخرى ، وإن كانت هناك بعض الهياكل متماسكة من الرأس إلى القدم . وتوضع هياكل المطارنة فى صناديق خاصة وعند باب القاعة هيكل رجل مسن جالس على كرسى مرتد ثيابا رثة وفى يده مسبحة حتى تخاله حيًّا حارسا للباب ويقال : إنه هيكل القديس اسطفانوس أول بواب للدير .

٨ – أملاك الدير :

يمتلك الدير أملاكا كثيرة بعضها فى سيناء وبعضها الآخر فى بلاد الشرق العربى واليونان .

(أ) فى سيناء :

١ – حديقة فى جبل الفريع .

٢ – بستان فى وادى طلاح .

٣ بستان ونخيل وخرائب دير قديم فى فيران .

٤ كنيسة ومدرسة ومركز فى مدينة الطور .

(ب) خارج سيناء :

يمتلك الدير عدة مراكز ومبانٍ وكنائس فى القاهرة والإسكندرية والسويس ويمتلك أيضا مراكز فى طرابلس لبنان ودمشق وأزمير ومراكز فى جزر قبرص وكريت وإسطنبول وبعض جزر الأرخبيل اليونانية .

نظام الرهبنة بالدير :

نظام الرهبنة الحالى الذى يتبعه الدير هو نظام القديس باسليوس الكبير ينذر فيه الراهب نفسه لحياة التقشف والعبادة والعمل المشترك . ولقد ظل الملوك والأمراء يرسلون هداياهم إلى الدير ولا يردون رهبانه خائبين إذا طلبوا منهم المعونة ويحتفظ رهبان الدير بالكثير من الهدايا النفيسة ومن أهمها وأنفسها ما كان يرسله لهم قياصرة الروس الأرثوذوكس . ومن هذه الهدايا أكثر من ألفى أيقونة منها مائة نادرة المثال رفيعة الشأن .

ولا يتجاوز عدد رهبان الدير فى الوقت الحاضر ٢٥ راهبا ، وكان عددهم أكثر من أربعمائة راهب والباقون مازالوا على تقاليدهم القديمة فى صلواتهم وأعيادهم ومازالوا يدقون الأجراس ثلاثا وثلاثين دقة عدد السنوات التى عاشها السيد المسيح . أما لماذا استطاع الدير أن يقاوم كل عوامل الانهيار والتفكك فى جبال سيناء طوال هذه الأجيال برغم اختلاف عادات البدو عن عادات الرهبان فذلك راجع إلى الأسباب الآتية :

١ – بناء الدير على شكل حصن .

٢ – وجوده على جبل يقدسه اليهود والمسيحيون والمسلمون على السواء .

٣ – حصولهم على عهد من النبى ﷺ احترمه كل الحكام الذين حكموا سيناء بعد الفتح الإسلامى .

٤ – بنى الرهبان مسجدا داخل سور الدير . وأظهروا من التسامح الدينى مالم يعد معه محل للاضطهاد

٥ – قيام الدير بإعالة فقراء البدو وحسن معاملة الزائرين .

٦ – يمثل الدير مصدر رزق للبدو من تأجير إبلهم للسياح والحجاج الذين يزورون الدير والرهبان الذين يسكنونه .

طرق الدير :

يصل الزائر إلى الدير بعد أن يقطع زهاء ثلثمائة كيلو متر قادما من السويس مارا بعيون موسى وسدر وأبو زنيمة والمغارة وأبو رديس حيث يتفرع الطريق إلى وادى المكتب الذى وجدت على شاطئه الجنوبى أقدم أبجديات التاريخ ، ووادى فيران الذى يعتبر أشهر وديان شبه جزيرة سيناء بعد وادى العريش ثم إلى وادى الشيخ إلى الدير . كما توجد عدة طرق أخرى تصل من خليج السويس وخليج العقبة ونخل وغزة إلى الدير وهى :

١- طريق من السويس تمر بالرملة .

٢- طريق من الطور تمر بوادى فيران .

٣- طريق من الطور تمر بوادى أسلا .

٤- طريق من نخل تمر بنقب الركنة .

٥- طريق من العقبة تمر بالنويبع .

٦- طريق من غزة تمر بالمويلح والنقد ووادى شعيرة الديث .

منشور نابليون بونابرت لرهبان الدير

الجمهورية الفرنسية ، حرية ومساواة . مركز رياسة الجيش مصر المحروسة فى ٢٩ فريمير من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية المتحدة غير المنفصمة (٢٠ ديسمبر سنة ١٧٩٩) .

أنا بونابرت أحد أعضاء الجمعية العلمية الوطنية والقائد العام :

(ا) حبا بإسداء الجميل إلى دير طور سيناء لينقلوا خبر فتحنا إلى الأجيال المقبلة .

(ب) واحتراما لموسى والأمة الإسرائيلية التى يرجع تاريخها إلى أقدم الأجيال .

(حـ) ولأن دير طور سيناء مأهول بطبقة من الرجال المتنورين والمتهذبين الذين يعيشون وسط سكان البادية الهمج — أمرت بما هو آت :

١ — لا يجوز لأعراب البادية المتحاربين أن يمتنعوا أو يحتموا داخل أسوار دير طور سيناء ولا أن يأخذوا زادا أو شيئا آخر منه مهما كان الحزب الذى ينتمون إليه .

٢ — يعين ضابط فى الجهة التى يسكن فيها الرهبان لأجل حمايتهم ، وعلى الحكومة أن تزيل كل عائق يقف فى سبيل ممارسة فرائضهم الدينية .

٣ — يعفى الرهبان من دفع الرسوم الجمركية على البضائع وخلافها الصادرة والواردة التى تستعمل فى الدير ، وخصوصا ما كان له علاقة بتجارة الحرير الذى لهم وأيضا محصولات (أراضى) معاهدهم الدينية وجميع أملاكهم فى جزيرتى ساقص وقبرص .

٤ — يجب إعفاؤهم من دفع الضرائب والجزية السنوية كالسابق بموجب الحقوق الكثيرة التى مازالوا يتمتعون بها .

٥ — يبقون متمتعين بسلام الامتيازات الممنوحة لهم فى أنحاء عدة من سوريا ومصر سواء فيما يختص (بأراضيهم) أو بمحصولات تلك (الأراضى) .

٦ — فى حالة التقاضى يعفون من رسوم المحاكم أو الغرامات التى يفرضها القضاة .

٧ — لا يجوز مطلقا منعهم من تصدير أو مشترى الغلال اللازمة لمئونة الدير .

٨ — لا يجوز لأى بطرك أو أسقف أو أى رئيس من الإكليروس الخارج عن رهبنتهم أن يتسلط

عليهم أو على ديرهم إذ هذه السلطة تنحصر فى يد مطرانهم ومجلس الرهبان فى دير طور سيناء .

٩ – على كل من السلطتين الملكية والعسكرية أن يمنعوا كل عائق يحول دون تمتع رهبان طور سيناء بحقوقهم وامتيازاتهم المذكورة آنفا .

الإمضاء

بونابـرت

ترجمة منشور القائد (داماس) الفرنسى يخول فيه الرهبان سلطة حبس المعتدين على الدير من عرب سيناء .

(الجمهورية الفرنسية . الحرية والمساواة . جيش الشرق)

عن مركز القيادة العام فى اليوم العاشر من شهر بريمير من السنة الثامنة للجمهورية الفرنسية المتحدة غير المنفصمة (١ نوفمبر سنة ١٨٠٠ م) (من داماس قائد الفيلق ونائب القائد العام : إن الجنرال كليبر القائد العام – رغبة منه فى تأييد الحماية الممنوحة من الجنرال بونابرت إلى رهبان دير طور سيناء حفظا لأملاكهم وعقاراتهم وصيانة لحقهم فى التمتع بها – قد خولهم السلطة بإلقاء القبض على العربان الذين يتجرءون على انتهاك حرمتهم فى ديرهم ونهب فواكههم وغلالهم ووضعهم فى السجن . ولكن أوجب عليهم أن يبلغوا دائما القائد العام أسماء الذين يوقعون عليهم الجزاء مع أسماء القبائل التى ينتمون إليها .

الإمضاء

دامـــاس

بعد الاطلاع قد فوضنا تنفيذ المرقوم أعلاه

الإمضاء

قائد اللواء فى جيش القائد العام : لكرنح